العرب
الإثنين 2020/11/09
السنة 43 العدد 11876

حكاية فانتازية بين عالمين أحدهما مرئي والآخر لامرئي

أنشودة تتغنى بالارتحال والحلم

قصّة حبّ مَدارُها المسرح والسينما والموسيقى

«لا نريد أن ننتهي مثل روميو وجولييت» مسرحية تتشكّل مباشرة على الخشبة

"لا نريد أن ننتهي مثل روميو وجولييت" مسرحية امتزجت فيها فنون شتى، وخاصة السينما والموسيقى، ولم تحتفظ من مسرحية شكسبير إلا بلقاء فتى وفتاة، لتروي قصة حب معاصرة نسجت خيوطها بعيدا عن الأنظار.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

بعد "دون كيخوته" و"الثلجة البيضاء"، أقبلت فرقة "لاكوردونوري" على أثر كلاسيكي آخر هو "روميو وجولييت" لشكسبير، وأضفت عليه عناصر من "الرجل الخفيّ" لهربرت جورج ويلز، لتعالجه بطريقة سينمائية موسيقية ليست غايتها الإبهار بقدر ما هي معالجة لثيمة التنافر الاجتماعي الذي قد يبلغ مبلغ العداء والعدوان، نتيجة أحكام مسبقة تعشّش في أذهان بعض الناس.

استوحى صامويل هركول وميتيلد فيبرغان عملهما الجديد من مسرحية شكسبير إذن، ولكنهما لم يحتفظا بغير علاقة حبّ بين رجل وامرأة ما كان لهما أن يلتقيا، ولا أن يتحابّا.

في مدينة ما، في مكان ما، يعيش رجال ونساء هم كسائر البشر، ولكن خارج تلك المدينة، يوجد مجتمع مختلف، سكانه لامرئيون، أي أنهم لا يملكون مظهرا ماديا، بل يحملون كلهم نفس القناع.

في ما مضى، تقول الخرافة، كانوا يعيشون جنبا إلى جنب، ثم حدث شيء لا أحد يتذكّره، فانفصل كل فريق عن الآخر، واختار كل واحد أن يعيش بمعزل عن الطرف المقابل، وقد جسّد هذا الانفصال جسرٌ يفصل بين المجتمعين.

كانت رومي، وهي بطلة في كرة الصولجان تنتمي إلى المجتمع اللامرئي، تعتني بأبيها المريض، هذا الأب الذي لم يعد يشغله غير ندم وحيد: أنه ترك المدينة وجاء ليعيش في هذه الضاحية.

بعد وفاته، حملت ابنته رومي رماد جثته لتنثرها في الجهة الأخرى، وفاء لرغبته في العودة إلى المدينة، فعبرت الجسر وجعلت تطوف في أرجاء المدينة تنثر رماد والدها، حتى التقت صدفة ببيير، وهو كاتب غريب الأطوار يعيش وحيدا في شقّة لا يقاسمه فيها غير قطّه عطيل. وخلافا لرومي فهو من جنس المرئيين، أي أن له جسدا وملامح. وقع أحدهما في هوى الآخر. ومنذ تلك اللحظة، نشأت بينهما علاقة عشق، غيّرت حياتهما.

إن الجسر الذي يقسم المدينة إلى جهتين، جهة يعيش فيها بشر واقعيون عيشة الناس المعتادة، وجهة يسكنها بشر لا يُرَون بالعين المجردة، هو حاجز استعاري بطبيعة الحال، غايته الإشارة إلى الحواجز التي تفرّق المجتمعات، وحتى المجتمع الواحد، لكونها حواجز ذهنية قبل كلّ شيء، ولكنها تتبدى أكثر صلابة من الحواجز المادية والأسلاك الشائكة.

وما حصل بين الشابين فيه اجتياز للحدود الممنوعة، وخرق للقوانين السائدة، وهتك للمحظور الذي تفرضه التقاليد، لأن الحب بطبعه متمرّد، يكسر القيود ويرفض الخضوع، ويتحدّى حتى النيران المندلعة.

هما كائنان، ما كان لهما أن يلتقيا، ولا أن يعشق أحدهما الآخر، ولا أن يتحدّيا وحيدين نظاما يلغي الآخر ويقصيه، ولكن بلقائهما وانصهار روحيهما سوف يزعزعان الأحكام المسبقة والمعتقدات التي جعلتهما، مثلما جعل مجتمعيهما، متنافرين يرفض كلاهما الآخر. هكذا، دون أن يعلم أحد السبب.

وعلى غرار التراجيديا الشكسبيرية، تروي هذه القصة أيضا مصير كائنين، يحيدان عن خط حياتهما المستقيم، ليسيرا معا في طريق مشترك، قيل لهما إنه محظور. وبتحدّيهما للمحظورات، أمكن لهما أن يعيشا قصة حبّ عميقة، حتى وإن زعزعا النظام القائم وحطما الحاجز الذي يفصل بينهما، كما تفصل المعتقدات التي انبنى عليها.

المسرحية يمكن أن تقرأ ككحاية فانتازية ذات محمل سياسي، فالمجتمع اللامرئي يرمز للأقليات المنبوذة في الغالب، تلك التي تقصى بألف وسيلة من المشهد العام، وتُبعَد إلى الضواحي الفقيرة، المهملة والمنسية، ثم ترفض المدينة أن تفتح حضنها لأفرادها، لمجرد أنهم مختلفون، يوصمون بالظنون بسبب لونهم أو اسمهم أو عرقهم. فهي تطرح قضية غمط حقوق الأقليات والمهمشين، وفي ذلك إدانة للمجتمع الذي يهمش الأفراد ويلغيهم ويخمد أصواتهم، بل يخلع عنهم إنسانيتهم.

> المسرحية تستعرض حكاية بصدد الإنجاز يُدعى المشاهد من خلالها إلى متابعة عملية الخلق والابتكار على الخشبة

وباقتفاء أثر رومي وبيير وصراعهما ضد شتى أنواع المخاوف تدعو المسرحية مشاهديها إلى التساؤل: ما الذي يبني الإحساس بالانتماء إلى مجموعة، إلى مجتمع؟ كيف نجد القوة اللازمة للخروج من النماذج المهيمنة؟ إلى أي حدّ يمكن أن يتخلى الفرد عن صورته الآدمية؟ ما هي مفاهيم السوية والإقصاء، والحرية والخضوع؟

ويمكن أيضا أن تقرأ كأنشودة تتغنى بالارتحال والحلم بأجواء وفضاءات أخرى، وتدين الامتثال والخضوع، لاسيما أنها معروضة للصغار والكبار. هي أنشودة بين الحلم والميتافيزيقا، تستحوذ على اهتمام الحاضرين منذ الكلمات والمشاهد الأولى بفضل أداء الممثلين، والإخراج الفني الذي يضع المتفرّج في موقع من يشاهد الفن السينمائي وهو يتشكل صوتا وصورة.

ذلك أن الإخراج اعتمد في سرد هذه الحكاية على الجمع بين المسرح والسينما والموسيقى والمؤثرات الصوتية، فالتوضيب الصوتي يتمّ أمام المشاهدين، وكذلك الصور الملتقطة التي تبث على شاشة عملاقة، فيبدو الحوار مباشرا بين الممثلين على الخشبة وبين زملائهم على الشاشة، أي أنها حكاية بصدد الإنجاز يدعى المشاهد من خلالها إلى متابعة عملية الخلق والابتكار. وكأنها دعوةٌ إلى الجمع بين عالم المرئيين وعالم اللامرئيين، ونداءٌ خافت لكسر الحواجز التي تعزل فئات مجتمعية بعضها عن بعض بذرائع واهية.

تصوير الأفلام «مهمة غير مستحيلة» في زمن كورونا

أُطفئت الكاميرات وعمّ السكون في مواقع تصوير الأفلام العالمية في فترة الحجر الصحي الشامل بين مارس ومايو الماضيين، نتيجة تفشي فايروس كورونا المستجد، الأمر الذي جعل بعض المدن العالمية –كباريس والبندقية التي تعوّدت على استقبال نجوم الفن السابع لتصوير أحدث أفلامهم على أراضيها– تعيش حالة شلل فني غير مسبوق، فكيف بات الحال مع انطلاق الموجة الثانية من الوباء؟

باريس – لا يشكّل العمل على فيلم في زمن جائحة كوفيد – 19 "مهمة مستحيلة" للنجم العالمي توم كروز الذي واصل تصوير جزء جديد من سلسلة الأفلام التي تحمل هذا العنوان "ميشن إمبوسيبل" في مدينة البندقية الإيطالية، مؤكّدا بذلك أن السينما لا تتوقّف رغم كل شيء.

وتسبّب انتشار فايروس كورونا بإيطاليا في فبراير الماضي فعليا في توقّف تصوير أحداث الفيلم الذي كانت الشركة المنتجة له قد حددت أن العرض الأول في الصالات سيكون في الثالث من يوليو 2021، ولكن بسبب الجائحة من المتوقع أن يتأخر العرض إلى وقت لاحق، رغم استئناف التصوير الشهر الماضي.

وفيما كان كروز موجودا في المدينة في نهاية أكتوبر لتصوير فيلم الحركة الشهير في جزئه السابع، كان يجري العمل في الطرف الآخر من العالم، في نيوزيلندا تحديدا، على إنجاز الجزأين الجديدين من سلسلة "أفاتار" لجيمس كامرون.

لكنّ فرق تصوير الأفلام التي عادت إلى لوس أنجلس لا تزال قليلة، إذ يتركّز العمل هناك على برامج تلفزيونية وأغنيات مصوّرة وإعلانات، بينما دارت عجلة تصوير الأفلام مجددا بالكامل في باريس، في الفترة التي سبقت الإقفال الثاني.

وقال المخرج السينمائي كلوفيس كورنيّاك الذي يصوّر فيلما مقتبسا من رواية بيار لوميتر "ألوان الحريق" في شوارع العاصمة الفرنسية "عندما تكون وراء الكاميرا، تكون مأخوذا إلى درجة أنك تنسى وضع الكمامة".

وقد أتيحت معاودة تصوير عدد من الأفلام منذ انتهاء إقفال الربيع الماضي، ومن بينها فيلم كورنيّاك، ولكن بشرط التقيّد بتعليمات صحيّة صارمة، منها إلزامية وضع الكمامات للجميع، باستثناء الممثلين خلال تأدية مشاهدهم بطبيعة الحال.

وبأزيائهنّ التمثيلية العائدة إلى ثلاثينات القرن الماضي، والكمامات تغطي أنوفهنّ، جلست بعض الممثلات وهن يرتشفن الشاي في وقت الاستراحة، بينما كانت جادة الشانزليزيه مقفرة.

وقال المخرج "لدينا فرصة لا مثيل لها للعمل، حتى لو كان كل شيء أكثر تعقيدا وثقلا، من أي وقت مضى. وحرصا على عدم التعرّض لمفاجآت غير سارة، يخضع جميع أعضاء الفريق لفحوص كل أسبوع، أي في المجموع نحو ألف فحص في 50 يوم تصوير".

ويتوافر في موقع التصوير طبيب وممرضون، وهو ما يرتّب تكاليف إضافية متنوعة، ويرفع فاتورة التصوير في ظل الجائحة بما يعادل 450 ألف يورو (حوالي 534 ألف دولار) من أصل موازنة تبلغ 15 مليونا، وفق ما أعلنته شركة "غومون" المنتجة لفيلم "ألوان الحريق".

ويقول مارك فاديه، مدير الإنتاج في هذه الشركة الفرنسية التي تُعتبر من أقدم شركات الإنتاج في العالم، والتي لم تعرف يوما مثل هذه الاضطرابات على امتداد 125 عاما من وجودها، "رغم ذلك، لا بدّ من الاستمرار في التصوير، وإلاّ تأثّرت كل سلسلة السينما سلبا عند إعادة فتح الصالات".

وأقرّ بأن "ثمة قلقا دائما، إذ يكفي أن يصاب ممثل واحد أو المخرج أو مدير التصوير بالفايروس، حتى يتحوّل الأمر إلى مشكلة كبيرة".

وقد عانى منتجو فيلم "باتمان" الجديد من هذه المشكلة، إذ أن تصويره في بريطانيا عُلّق في نهاية الصيف بعد إصابة أحد أعضاء فريق الفيلم بالفايروس، يُعتقد أنه الممثل روبرت باتينسون الذي يتولى دور الرجل الوطواط نفسه.

والفيلم القادم الذي يحمل عنوان "ذا باتمان"، من إنتاج شركة وارنر برذرز الأميركية التي اختارت باتينسون لتجسيد شخصية باتمان خلفا للممثل الأميركي الحاصل على الأوسكار بن أفليك الذي قرّر اعتزال دور البطل الخارق.

ولعب بن أفليك دور بروس واين الثري الذي يرتدي الأسود عند حلول الليل لكي يفرض العدالة في آخر نسختين من سلسلة باتمان اللتين صدرتا في 2016 و2017.

ويلعب باتينسون، الذي نال شهرة واسعة بفضل دوره في سلسلة مصاصي الدماء "توايلايت"، دور بطل المجلات المصوّرة الهزلية الخارق، ليكون تاسع ممثل يقدّم الشخصية الشهيرة.

وكان من المقرّر طرح الجزء الجديد من الفيلم في دور السينما العامية في الخامس والعشرين من يونيو 2021، لكن يبدو أن الأمور تغيّرت مع توقّف تصويره.

كلوفيس كورنيّاك

لدينا فرصة لا مثيل لها للعمل، حتى لو كانت الأمور معقدة

ورغم كل شيء، بين الأفلام التي أجلت خلال الموجة الأولى، وتلك التي تسعى إلى إنجاز التصوير خشية المزيد من تشديد التدابير، من المفاجئ أن باريس تشهد الآن تصوير عدد من الأفلام أكبر من أي عدد في السابق.

وأشار المسؤول عن السينما في بلدية المدينة ميشال غوميز إلى أن 55 فيلما يجري تصويرها منذ 11 مايو الماضي، وقال "لقد عاودوا العمل بهدوء خلال الصيف، ولكن منذ الأول من سبتمبر بات الأمر مخيفا! الجميع يحاولون التعويض عمّا فاتهم".

وأضاف "في كل مكان تقريبا، يمكن أن نرى مصابيح كاشفة وشاحنات التحكّم، لكنّ الخيم الكبيرة التي يتناول فيها العاملون في الفيلم الطعام مُنعت. ومع أن الشوارع خالية، ليس التصوير سهلا بالضرورة. يجب إعادة فتح بعض المقاهي لجعل الخلفية أكثر حياة".

أما فرق الأفلام الدولية التي ترغب في الإفادة من ديكورات شوارع العاصمة الفرنسية، فلم تعد تأتي للتصوير في باريس "ولا تعتزم ذلك قبل مايو أو يونيو 2021"، ولم يشر غوميز إلى إلغاء تصوير أي فيلم فرنسي منذ تدابير الحجر الثاني.

حركة تصوير الأفلام لا تتوقف رغم كل شيء

لقاء تريسي ومونخ

فاروق يوسف
كاتب عراقي

مونخ كان نرويجيا باردا.

صرخته التي هي أشهر أعماله كانت تعبيرا عن السأم. أما تريسي فإنها تركية ساخنة اخترقت المجتمع البريطاني مثل شعلة وكان غاليري "ساجي آند ساجي" بلندن قد دعّمها منذ بداياتها ورشحها لنيل جائزة تيرنر. ولكن ما المناسبة التي تجمع بين البارد والساخنة؟

معرض غريب من نوعه تقيمه الأكاديمية البريطانية. من خلال ذلك المعرض حاولت تريسي أن تقبض على مونخ حيا. وهو ما لن تتمكن منه إلا بطريقتها.

لقد عُرفت تريسي بسخريتها الجارحة غير أنها هذه المرة تبدو جادة. تود أن تغري مونخ الميت باللحاق بها والانضمام إلى ألعابها. كما أنها تحلم لو كانت قادرة على تقليده في يأسه. ذلك سباق سيكون محسوما للأصل.

ولكن المسألة لا تتعلق بمَن يفوز على الآخر. لقد قرّرت تريسي هذه المرة أن تخضع لتعليمات الأستاذ. أن تكون تابعة له لتكتشف نفسها من خلاله. "سأعيش معك كما لو كنت خليلتك".

سيشعر الشمالي بدفء ذلك الجسد الساخن. يفصل بين الاثنين قرن بأكمله. ولد إدفارد مونخ عام 1863، أما تريسي أمين فقد ولدت عام 1963. قرن كامل شهد فيه الفن من التحوّلات ما لم يشهده في كل عصوره السابقة.

تريسي هي ابنة تلك التحوّلات. حين ذهبت إلى النرويج كانت ترغب في أن تعيش مع الأستاذ في بيته. غير أن إلهامه دفعها إلى أن تفعل ما يشكّل تحديا لها. لقد قرّرت أن ترسم من وحي لوحاته لتقف إلى جانبه في معرض مشترك.

فكرة مجنونة لا تخرج عن دائرة ما عُرفت به تريسي من تطرّف وفضائحية وشغب. ولكن الأمر مختلف هذه المرة.

أعتقد أننا سنرى مونخ بطريقة مختلفة. ليس بالضرورة أن نراه من خلال تريسي، ولكن التحدي الأنثوي لا بد أن يضفي عليه ملامح جديدة. أما تريسي فإنها بعد أن درست على يد الأستاذ لا بد أن تكون فنانة جديدة.

علاقة عابرة للسنوات والأماكن تصنع مزاجا فنيا يجمع بين مصيرين ويطلق خيالا مختلفا. التفاتة تريسي إلى الوراء لم تكن متوقعة، وهي تستحق الثناء.

صرخة مونخ لا تزال ملهمة للفنانين